خواطر حول ديوان :

"الناس في بلادي"

شاعر من مدينتي

بقلم محيي الدين محمد

يتيح لنا الصدور الباهر لديوان « الناس في بلاد » ان نعلن عن سخطنا على معظم الدواوين التي صدرت في هذه الاعوام ، في مصر على الاقل ... وهو يرد لنا انفاسنا التي ضيعتها موجات الغم والسطحية المسمرة في التكرار المسئم لخمسة دواوين شعر ..!

المفهوم ان الديوان هو وحدة متماسكة تعلن عن ذات الشاعر .. فكل ديوان جديد ، هو الشاعر ، في حين تصبح المجموعة السابقة نفحة منه .

وذلك ينبيء عن تطوره المستقل وغير الجامد . فان صدور مجموعة مطبوعة يعني ان « عبقرية عدم الرضى » ـ كتعبير غايتان بيكون ـ قد شبعت من الاضافة ونزع الابيات غير المتماسكة ، والضعيفة .. يعني ان الشاعر قد رضي اخيرا ان تعلن هذه المجموعة عن نفسه ..

للشاعر عينان ، واحدة تخطف صورا منزوعة من لحم الطريق .. من زحمة الناس والحياة ، والاخرى تحاول ان تسترد صور العالم من انعكاسه المدفون في صدره ذاته .. والصورة الاولى هي ركيزة الشاعر الفشيم الذي يفضح نفسه ، فمهما دافع المذهبيون ، ومهما اعلنوا غضبهم ، يظل كل نقد شديد للشعر السطحي ، سخطا هادئا ينذر هذه الاشكال بأن تكف عن تصنيع اشعار غثة ولا فائدة فيها ..

يقول بوالو : « كانت الكلاسيكية روحا وارادة ، بينما الكلاسيكية الكاذبة اصبحت صيغة ..! » ويمكن الان تعديل هذه الجملة بالنسبة للواقعية .. فيصبح بوالو معاصرا ..!!

تحت يدي الان هذه الدواوين : اغاني افريقيا . قصائد من السودان . عبير الارض . الطين والاظافر . اغاني المعركة .. ما عدا هذه القصائد التي اوردها فيما يلي من الدواوين الخمسة ، فان صدورها المزعج لا يؤرخ ولا يمكن ان يؤرخ للانسان العربي الحديث .. انها تيارات من الصياح السياسي ، والحزبي ، والمذلات الجلدية والعنصرية .. انها مجموعة من الشتائم الفاسدة ، والنثر الممزق .. انها تطفل على حياتنا . تطفل سام وساذج .. وهذه القصائد هي :

(مات غدا) للفيتوري . (يد . عبرى) لجيلي . (عيد الغريب . السوخ . القمر) لتاج السر . (الشباك . غريق . ليال ثلاث) لفارس. اما صديقي شعراوي فلا ينتمي الى هذا الجيل من الشعراء !! انه شاعر يخص المستقبل بدون شك ، وما دامت حتى (عصفورة) الطيب الشريف لا تستطيع ان تجتاز الفاصل بين الكلام الجميل ، والشعر ، فلا يمكنني ان اجازف بالحكم على شعر الصديق .. واترك ذلك للاجيال المقبلة !!

تسع قصائد من مجموع خمسة دواوين ، تظل في نظري القصائد الافضل لهؤلاء الشعراء .. اصدقائي ..

لا يمكنني تناول الديوان كمجموعة قصائد ، فهذه مهمة الناقد ، وليست سياحتي الساذجة فيه الا تعبيرا عن وجهة نظر القارىء .. القارىء الذي صدر من اجله الديوان ..

ففي اللحظة التي ختم فيها الديوان بهذه الجملة :

ونوّر المساء بالجراح
كأنه صباح ...

في هذه اللحظة تصبح كل القصائد اكواخا مغلقة .. بلا نور ، ولا حياة .. وتبرز من هذه الظلال كلها نفسية الشاعر التي مزقت ذاتها في هذه الاشكال المتتابعة ، والمختلفة ..

اخيرا تتحقق الوحدة التي عذب الفنان من اجل ابرازها نفسه ، في نهاية الديوان ..

في الختام المرصود لآخر قصيدة ..!

يرتبط زهران بالباب وبالرحلة .. بالسوناتة وباغنية حب .. كلها تحقق فكرة الشاعر التي يلتقطها خلال الأزدهار المشع لمعنى العالم في داخله ..

كنا نحس في الدواوين التي سبقت ، ومهدت نفسيتنا لهذا الديوان الصميمي ، خللا بين روح كل قصيدة ، واخرى ، كأن مجموعة من الشعراء مختلفة الامزجة اخرجت ذلك الديوان !..

فكل قصيدة لها روح مستقل ، وان تكررت بعض الالفاظ والارنانات .. وكأننا في ردهة رسم تلطمنا المذاهب برمتها المصطفة في لوحات مختلفة مطموسة ، بيد ان ميزة الديوان الفذ ، هي انه يرد لنا انسجامنا ، بطريق احساسنا بانسجام المؤلف ذاته ، وهذه خلة الفنان الحقيقي ! فمنذ انقطع الفيلسوف عن الاحساس ثم منطقة الوحدة التي تلم شمل العالم .. يصبح على الفنان ان يعيد من جديد نسج هذه الوحدة التي فجرت في الماضي كل هذه الينابيع التي غذت فكرنا في التاريخ ..

يزعم النقاد ان كل قصيدة هي نمو نفسي من زمان معين ، منقطع عن اللحظات النفسية لبقية القصائد ، وهذا

الزعم الذي هو ترميم شائه لنظرة القدامى الى وحدة البيت ، ثم النظرة الحديثة التي تعتبر القصيدة عملا كلا ، يلمها فى رابطة مغلقة .. هذا الزعم ليس تنسيقا لنفسية الشاعر اكثر منه تمزيقا لحسه النامي بالنغمية والمعنى ومطلق الادراك ...

ولحظة تفجير الطاقة الشعرية ، تساوي لحظة بعث اللوحة عند الرسام . ففي هذا العنبر المستطيل الذي تتراكم فيه مائة مرسومة ، يكرر الفنان ذاته فى كل قماشة ومنحوتة . ليس ذلك التكرار الذي نعرفه ، من نقل متقن للعناصر كلها ... انما هو ذلك الخط غير المضطرب ، والذي يشي بخاصة سرية تربط هذه اللوحة بالتالية لها .. وقد تكشف هذه الخاصية ذاتها فى لون او فى مجموعة خطوط ، او فى اختيار معين للقاع .. غير انه ، بالرغم من كل ذلك ، تظل كل لوحة هي نفسها .. فلا يمكن ان نخلط مثلا بين « الانسحاق » و « الدار الريفية » برغم ان التوقيع فى اللوحتين واحد ، ولا يمكن ايضا ان نمزق الوحدة التي تجمع بينهما مهما طالت فترة الزمن التي تفصل بين العملين . فليس زمان الفنان من زمننا .. لانه فى مطلقه الخاص .. ولذلك فوحدة القصيدة ، او المرسومة ليست الا ادعاء فارغا ، فأعمال الفنان كلها وحدة ، برغم انقسامها الى اشعاعات تظهر لنا منفصلة . فلا يمكن الحكم على قصيدة واحدة بصيغة او نحوها كما يفعل النقاد ، الذين يرفعون حواجبهم ، او يهرشون : « آه ! غير ان التجربة مبتورة ! » أو « انها اسوأ ما فى المجموعة .. فلا يمكن مقارنتها بقصيدة (كذا) التي تدخل الروح كالعاصفة !! »

وان عملية التنحية الضرورية التي يعتمدها الفنان الذي يسقط عمدا قصائد معينة عن الظهور فى المجموعة، بدعوى فجاجتها او غموضها ، تظل غريبة امامنا .. وهنا يختلف الشعر عن الرسم .. فالرسم هو جفوة مستمرة بين الرسام واللوحة .. اما الشعر فهو ولادة طبيعية تعد معظم التشذيب بالداخل ، فالتجربة التي ينحيها الشاعر عن الديوان ، هي محاكمة ظالمة وبدون دفاع .. انها عملية قتل وتزييف .. فتبعا للمفهوم الاول عن الشعر (كونه وحدة قصيدة) تعتبر هذه العملية عادية ولا خطر منها ، اما حين نؤكد وحدة الشاعر نفسه ، فان لحظة التنحية هذه تصبح من حق القارىء لا المؤلف !

والسؤال الذي يرن الآن فى الاذهان هو : أنرضى اذن بالفن الساقط بدعوى وحدة الشاعر ؟ أهو واجب ان نصفح عن القصائد النخرة فى المجموعة لانها من صميم تجربة الشاعر ؟!

ان الشاعر يغني لانه يريد ابلاغ الآخرين حسه بالكون ! ولا بد ان يكون هذا الحس اخلاقيا جدا، فالفنان اللااخلاقي يكف آليا عن الكتابة ، فكل شكل من اشكال الفن هو الاخلاق ... ولكن افلا يصح ان نختلف فى مفهوم الاخلاق فيصبح المنادي بالجريمة مدافعا عن اخلاقه هو ؟ وبمعنى آخر .. أفنستطيع ان نسميه اخلاقيا ذلك الذي يغني الانحلال وطعم اللحم البذيء والشذوذ ؟ بيد اننا يجب ان نقرن هذا اللااخلاقي ببالزاك .. ذلك الذي كتب وصور العفونة والقذارة والزهري والظلام ..

أكان بالزاك مصورا للفساد دفاعا عنه ، ام اشارة اليه ؟!

أيخضع الفنان الذي هو الرؤية الاوضح للعالم ، لهذه الاشكال السوقية والمرضية فيدونها بدعوى لاقباحتها ؟!

مستحيل بالطبع .. فحتى ذلك الذي يبدو ، بعد قراءة سريعة ، طافيا بفظاعة فوق اكوام من القذر والاوحال .. حتى ذلك الفنان ليس الا حسنا الاخلاقي بالذات !!

فالشاعر اذن يخوض فى العالم ، يلاحظ بدقة ، مدونا كل صورة ، وحادثة ، فى داخله .. وعملية الاصالة هذه ، هي عمليتان معا ، احداهما نقل الخارج كله الى الداخل ، والاخرى .. عزل السطحي والمبتذل ، وتنحيته عن الهام والضروري ، وكون هذه العملية لاشعورية يمنح الشاعر فيضا غنيا جدا من الركائز الحادثية .. فكل عملية صياغة مستقبلة ، سيكون عمادها عملية التصفية السابقة التي حددت بالضبط فنية الشاعر ..

ولا بد ان نلاحظ فى النهاية ان الجمال ليس الا عنصرا اخلاقيا !!

ففي الموسيقى التي هي شكل مطلق من اشكال الجمال، تبدهنا اخلاقية دفينة فى صلب كل اختيار نغمي : فاوست الذي يعلن كفره يعود مرة اخرى ، ثم يظل فى هذه العودة المستغفرة الى الابد .. اخلاقيا جدا ، مربوطا فى كل شك بشري ! اجمونت . الامبراطور . حتى الدون جيوفاني وجيزيل ودون كارلوس .. كلهم يعاني هذا التوتر المشدود الذي يظل خاصة الاخلاقي ..

وفى النهاية .. أليس الشعر موسيقى فى كلمات ؟!

وقد تكون هذه ميزة الشاعر المعاصر ، فمهما كانت مآثر الشاعر القديم فانه لم يستطع ابدا ان يحوز الى جانب عبادته للجمال ، ميزة الاخلاقية التي تصوغ نفسية الشاعر الحديث ، وقد يكون السبب فى هذا الاتحاد المر بين صانع النشيد ومأساة العصر .

أيستطيع منشد ان يتجاوز عن هذا القلق العنيف الذي يعيشه جيل الحربين بدون ان يعلن عنه ؟! ان فن الرسم الذي يجهد بألا يكون عاطفيا مبالغا ، ينزلق فى هوة القلق هذه ، فيرسم هذا التوتر المشدود بأنامل جد عصبية ، ولا بد ان يكون الشاعر اكثر ارتباطا بألم قرنه من الرسام ، وليس لفرط الحساسية دخل فى هذا الارتباط الاشد .

فليس اللحن بعامة ، الا فرحا متعسا ، وسرورا لا ينجز الا فى الالم ..

الشاعر اخلاقي ، والتجربة التي يعزلها عن المجموعة هي حكم شخصي ولا مسوغ له ، لان شعره وحدة مترابطة تعلن عن ذلك الاسم الذي هو اكثر سطوعا وشفافية والذي هو : الاقتران بالجيل ..

* * *

اذا اعتمدنا الكلمة التي انتهى بها غلاف (الناس فى بلادي) فان عمر الشاعر هو عمر جيلنا الراهن ، والذي وعى ذكريات آبائه عن الحرب الاولى .. ثم خاض بنفسه العذاب الوحشي والنفسي للحرب العالمية الثانية ، بكل مذابحها التي تمثلت فى اوشفتز وداخاو ، وفى افران الحريق والغاز ، وفى القنبلة الذرية الاولى على هيروشيما ، ثم يعيش نفس الجيل هذه الفترة السوداء فى تاريخ الحضارة ، بكل هذه المظاهرات الجهنمية لافظع أشكال البطش والتدمير التي تعرضها الدولتان المتنافستان على الغاء حرية الدول الصغرى .

هذا الجيل الذي يحس الموت فى كل تهديد ، او انذار والذي تتعلق انفاسه بكل اجتماع لمهندسي الكون الكبار ، هذا الجيل المسؤول وغير المسؤول عن فنائه وفشله ، والذي لا يستطيع الا ان يتجه الى الكنيسة والمسجد بدعوى الخلاص ...

هذا هو جيل (الناس فى بلادي) ولذلك فهذا الديوان هو روضنا المشترك . اذا فتشنا عن الخيط الاسطوري الذي يلم هذه القصائد المتناثرة فى وحدة ما فلن نجده فى (الحزن) كما تقول المقدمة والكلمة المسطورة فى نهاية الديوان .. فليس هذا الحزن الا مظهرا عاكسا ، ليس الا القناع المحدد لنفسية هي فى أشد حالاتها شعورا بالمرارة وهذا القناع يخفي السبب الحقيقي الذي احسبه روح الديوان ، ان لم يكن روح هذا الجيل بأسره ..

باسترناك . اليوت . سيتويل . الوار . كازيمودو ..من ذا يمكنه ان يقرأ لشعراء عصرنا هؤلاء دون ان يلاحظ نغمة الكآبة التي تطبع كل شطر منغوم ؟! لا يمكن لناقد ان يقرأ « الارض الخراب » او « القنبلة الذرية » الا ويفترض ان روح الحزن هي التي املت سطور القصيدتين .. بيد ان روح الحزن ليس الا التأثر المباشر للسبب الحقيقي الذي تضفي عليه الظلال والفنية والنغمية مدلوله الرمزي ..

ان اخلاقية (الناس فى بلادي) تشطر الديوان شطرين شكليين ، فكأن شاشة كبيرة تعرض على التوالي منظرين لا ثالث لهما : خراب ، ثم نماء .. اطلال ، فحياة ..! وهذه الخلة العجيبة التي للديوان تتيح للقارىء فسحة نفسية يتأمل فيها خلال قصائد من نوع : سوناتا . لحن . اغنية حب . غزلية .. فهذه النوافذ المطلة على اشواق عاطفية ساذجة هي فترة الراحة Entr'acte فى دوامة هذا الصراع الضاري ..

ان اضعف حلقات هذه السلسلة الكبيرة هي قصيدتا : ابي ، ومنحدر الثلج . فلولا هذا التمييع اللفظي الذي هو خاصة الشعر عندنا .. هذا التشدق السوفسطائي الذي بدون هدف .. لولاه لاصبح الديوان خاليا من الهم والشطط .. ونعود ـ قبل ان نحاكم بتهمة التناقض ـ الى فنية الديوان التي يضعها كاتب المقدمة ضمن الشعر الغنائي !!

لا يمكننا التسليم بغنائية شاعر ، ولو تحقق شرطان من شروط الشعر الغنائي فى قصائده ، وهذا الديوان ليس غنائيا مهما قارن الناقد بين غنائيته وغنائية « بيرنز » مثلا . فهذه الرنة المثقلة بالاسى ، والتي كان يمكن ردها للحزن الخفيف الرومانتيكي الذي لشعراء الغنائية القدامى ، ليست الا الروح التي نبحث عنها فى انتاج فنانينا الذين ايقظ ضمائرهم لحد القداسة ، ايغالهم الشديد وانتسابهم المغالى فيه الى عصرهم .

اذا كانت عالمية « جارسيا لوركا » هي فى اندلسيته بالذات ، فديوان (الناس فى بلادي) يجابه نفس الموقف من خلال عرضه العميق والمعاش لهذه الاشكال الساذجة من اشكال حياتنا المصرية ... وقد كان همّ الكثير من شعرائنا هو محاولة الوصول الى العالمية بطريق العرض المطول للعاطفي ، او الشاذ واللاحقيقي .. واحيانا باختراع قضايا غريبة كمشكلة اللون والعنصرية ، وفرط سطحيتهم التي ينبىء بها تمثلهم للقضية يوقعهم فى نفس مشكلة الطائر الذي فقد القدرة على السير حسب طريقته القديمة ...

والشاعر هو روح القرون المقبلة، لانه يكشف فى الحاضر عن المستقبل ، وهذه ميزة الشاعر عن الموسيقى ... فالكلمات تحدد بالضبط منهجية الشاعر وفنيته ، بعكس وضع الموسيقي الذي يصبح النغم بالنسبة له كلمة ومنهجا وفنية ..

وصلاح هو انت وانا ، فقط على انفتاح اعظم صميمية ، فهو لا يعيش فحسب قلقنا او يغنيه .. انه يحاول كما حاول اليوت والوار رد السؤال المعجز الى حلق ابي الهول.. وقد كانت النتيجة ان عاد اليوت الى الكنيسة ، والوار الى الحزب الشيوعي .. وتلك اخلاقيتهما .. فما هي اخلاقية صلاح عبد الصبور ..؟!

لا يمكن ان تبين مناقبية الفنان الا فى اعماله الاخيرة .. فهي الترسب النهائي ، والصورة الخامية لفرط الامتداد المذهل لقطاعات نفسيته :

ها هو العالم كما ادركته !! هي هذه صورته النهائية فما الحل ؟! ... أهو ان نعيد الى البشر ما فقدوه من طعم للانسانية ؟!..

ولا بد الا نخلط اخيرا بين الشاعر والمصلح ، بالرغم من اشتراكهما من حيازة هذه الحاسة الاخلاقية ، فدنيا المصلح هي مطلق الاخلاق ، على حين يصبح هذا الهدف سلوك الفنان وحسب ...

قصائد الديوان تشبه لعبة الصورة المغماة ، والتي تتكون من ضم مجموعة معينة من الاجزاء المنفصلة والمختلفة الشكل بحيث يطابق الآخر جزءٌ واحد فقط من الاجزاء المتعددة وفى النهاية يظهر الشكل الختامي فى صورة رسم مجسم لقطر او شكل معين ...

فهل تكون (العودة الى القرية) سر الديوان ، اذا ربطنا هذه القصائد : الملك لك . سوناتا . الناس فى بلادي ؟!!

ام هو (الاستسلام للحياة) كما فى : السلام .. والحزن؟!

بيد ان كل هذه الصور ، هي فراره الجسدي من الالم

ومن الاحساس بوطأة الحضارة على جسمه المجنون ... فليست العودة الى القرية الا الاكتشاف الباهر للبراءة ، من جحيم هذه الدوامة الملعونة لحياتنا .. وهذا الاكتشاف الذي يجب ان يقرن باكتشاف اليوت للكنيسة ، ينم عن خاصة هذا الجيل الذي فقد نهائيا الرباط بينه وبين معنى وجوده ...!

ان روح الاشعار التي سبقت ظهور (الارض الخراب) كانت تهيء لهذا الانقلاب المنتظر ... فقد كانت القداسة في عين اليوت دائما ، فجوة تصل بين داخل الفرد ، والله المسيحي ... فاذا كانت اشعار (الناس في بلادي ...) تعبيرا عن حاجة الجيل الحديث : الوحدة ، والبحث عن ذاته ، فما هو الجواب المدفون أذن في رمزية هذا الديوان السحري ؟.

ولكن ..! لا بد قبل ان تسرقنا حلاوة الديوان، من بتر القليل الصناعي واللاذاتي ...

فان : الطبلة الجوفاء والخطو الذليل بلا التفات
والظلمة البلهاء والجرحى ورائحة الصديد
والصم والسعلاة والظلماء تقعى في الكهوف

ليست الا صورا اختص بها الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي ...

ومن (اليوت) « انني خاو ومملوء بقش وغبار ... »

ومن التوراة .. من نشيد الانشاد بالذات ، هذه الروح :

وجه حبيبي خيمة من نور
شعر حبيبي حقل حنطه
خدا حبيبي فلقتا رمان
جيد حبيبي مقلع من الرخام ..

ويمكن تنحية الرباعية الثالثة من (حياتي وعود) فالتثنية الرياضية في القافية ، قد الزمت المعنى هذا الجبر الهندسي : مرتين . دورتين . رشفتين . دمعتين ..

غير ان المقدمة تدعى ان ما نأخذه هنا على انه مزلق وقع فيه الشاعر ، هو خطوة مقصودة للارتفاع بالشعر العربي نحو العالمية .. على غرار اليوت .. غير ان محاولة اليوت هي محاولة فاشلة لاثقال الشعر بأحمال من الاستعارات التي تزيد الرمز ضبابية ، فالشعر عملية انفعالية غارقة في الدفائن السرية للشاعر ، وعملية الصياغة هي محاولة في غاية التعقيد للتصعيد برمزية العالم الشعري الى وضوح الكلمة المنغومة التي ترد القاريء لا الى صورة محسوسة عن طريق البيت الشعري او القصيدة ، بل الى الهزة الانفعالية المثيرة .. فالقاريء ينتقل من مجاله هو الداخلي ، الى مجال الشاعر انتقالا مترابطا بطريق استثارة شعورية ... ففي اللحظة التي يبدأ فيها الانسجام الداخلي لدى القاريء ، تصدمه حتى الفجيعة عقبات عقلية مرصودة له ، وهذا التعقيل الذي يعيد للقاريء حريته واحساسه بذاته .. يحتاج مرة اخرى فقرة اشد عاطفية ليعيد الانسجام للقاريء الذي افقدته اياه العقبات المنثورة ، والتي هي قاع الشاعر الثقافي ..

اننا لفرط شكلية هذه العملية ، نتهمها بما نتهم به السوريالية من محاولة اغماض كل شيء ورده الى الاحلام واللاوعي ، بعكس الشعر المعاصر الذي يرتد الى العقلية بدعوى عالمية الثقافة ..

فمن محاولة اليوت الذي اعتمد نصوصا من التوراة والاينياد ، وازهار الشر ، والكوميديا الالهية ، ومن الفردوس المفقود ... يمكن ان (نفهم) ! بعض قصائد (الناس في بلادي) ... لا ان نعيشها .. وهذا بالذات هو الخنجر المسموم الموجه بغضب الى قصيدة الارض الخراب ..

ان (رحلة في الليل ..) هي مفتاح هذا الديوان !!.. ولذلك صدر بها الشاعر مجموعته ، وهذا خطأ فني محض، فلو كلف الناشر عناء ضبط المسافات الزمنية بين القصائد ، اي لو رتبت القصائد حسب (الوضع الزمني ، لتمكنا من الاحساس بنمو التعبيرية ، وتطور الشاعر الخاص ..

ولذلك فان هذا الاخراج الراهن لا يسمح للقاريء الا ان يراجع فنية (هذا ...) الديوان ، بشكله ذلك ، وبدون ان يمكننا الشاعر من ملاحظة بنائه النفسي من الداخل ..

رحلة في الليل .. هي الزاوية التي تضم اليها روح هذه الشبيبة المرهقة .. التي لا تجد معنى لبطولاتها الصغيرة ، في غزو قلوب الفتيات ، وتجرع زجاجات بأكملها من البراندي المغشوش ... او الجلوس المقلق الى طاولة البوكر طيلة ليال كاملة .. انه جيل السأم ، والذي جعل من هذه الحياة العجيبة ، منظرا واحدا يتكرر في استمرار معذب ، فلا الامل ولا المستقبل ، ولا الحب ، يستطيع ان يعيد ولو للحظة واحدة ، هذه النفوس التي ملئت تعسا وكآبة ...

ما زلت حيا ! فرحتي ! ما زلت والكلام والسباب والسعال
وشاطيء البحار ما يزال يقذف الاصداف واللآل
والسحب ما تزال .
تسحّ ، والمخاض يلجيء النساء للوساد
ويلعب الاطفال فوق اسطح البيوت
لعبة العريس والعروس ، والثبات والنبات ..

لا مفر من هذا العذاب الابدي ، ومن هذه الانشوطة التي تلتف حول اعناق حجارة الشطرنج .. أعناقنا !! نحن الذين يسيرنا قدر اشد غرابة من قدر اليونان الظالم .. وفي النهاية يرسم السواد والظل خطوطا متداخلة، متعرجة .. ولكنها تكفي كدلالة .

وبعد غد ! وبعد غد !
سنلتقي الى الابد ..

ان اخلاقية هذا الديوان العجيب ، تتوقف عند حد هذه القصيدة التي تلم اليها شمل القصائد الموزعة في المجموعة ... فهذا الشاعر في هذه المجموعة ليس الا احساسه الجسدي بالقنوط ... وفي هذه الهاوية سوف يعرف فكره التحرر اكثر مما عرف الامل او السعادة ..

ليس هذا الديوان الا قلقنا وضيعتنا وبؤسنا ، فهو لا يمثل الا المادة الخشبية الصماء التي تصنع منها الصلبان : هذه الاجابة الدينية الحاسمة ..! وهو لذلك يعرض فقط اسانا ، ويعبر عن سأمنا الميتافيزيقي بدون ان يعرض حلا ، فالخشب الغض يمكن ان يكون صليبا .. وان يكون محرقة ..!

دراسات في الآداب الأجنبية

سيمون ده بوفوار

بقلم الكاتب الانكليزي موريس كرانستون — ترجمة أدكار سركيس المحامي

ان سيمون ده بوفوار مثل الاديبة الانكليزية جورج اليوت، فيلسوفة وروائية معا. ولكن خلافا لجورج اليوت التي كانت تبشر بالمادية العلمية، كفيلسوفة، وبالخلقية الجامدة كروائية، فان سيمون ده بوفوار تتمسك بموقف واحد: فرواياتها ومقالاتها، على تنوع طرائقها، تعبر عن وجهة نظر واحدة في الحياة. واذا اعتبرت جورج اليوت افضل من سيمون ده بوفوار في مجال للرواية، فان هذه الاخيرة افضل من الاولى في مجال الفلسفة. ان سيمون ده بوفوار هي من اهم واضعي ما يسمى « الرواية ذات الفكرة » Roman à thèse

ولدت سيمون ده بوفوار سنة ١٩٠٨، وتلقت الدراسة في السوربون. وبعد تخرجها امتهنت تدريس الفلسفة مدة اثنتي عشرة سنة، الى ان غدت، في سنة ١٩٤٣، كاتبة محترفة. ومنذ ذلك الحين ارتبطت ارتباطا وثيقا بجان بول سارتر وبمجلته « الازمنة الحديثة » Les Temps Modernes ولكن اذا توخينا الدقة قلنا انها ليست « تلميذة » سارتر، كما يحلو للبعض ان يسميها، لان آراءها حول كثير من الموضوعات الاساسية المهمة تختلف عن آراء سارتر وتبدو اكثر اصالة منها. ولكنها مع ذلك وجودية.

ان محور المشكلة في فلسفة ده بوفوار هو الحرية. فهي تعتقد بان الحرية امر ذو وجود حقيقي وذو قيمة ايضا، وان الانسان حر، ولكنه مع ذلك يجب أن يناضل ليكون حرا. وهذا الاعتقاد ينطوي على تناقض ظاهر. وسيمون ده بوفوار على علم بهذا التناقض، ولعلها ان تكون فخورة به بعض الشيء، فان التناقض يحتل مكانا مشرفا في فلسفة القارة الاوروبية. واظن ان ما تعنيه الكاتبة، في عبارات مبسطة، هو ما يأتي: ان كل فرد حر لان ارادته حرة، وما الحتمية الا زيف وبطلان، ولكن هذا الفرد خاضع مع ذلك لكثير من عوامل الضغط الباطنية والخارجية، فليس يسعه ان ينال حريته الا ببذل جهد ايجابي. وهذا الجهد، كماتعتقد سيمون ده بوفوار، خليق ببذله، لان الحرية هي في مقدمة القيم منزلة واهمية.

ان سيمون ده بوفوار، شأنها شأن العديد من الفلاسفة، تعتبر حرية الارادة ظرفا ضروريا لقيام الاخلاق. وانا لست على يقين من صحة هذا الرأي، ولكن دحضه امر عسير. فاذا كانت الارادة غير حرة، فلن يلام احد على ما يقترف من عمل، لان المعتدي في مقدوره ان يدافع عن نفسه دائما بقوله: « لم يكن في وسعي ان اتجنب الامر » فبدون الارادة الحرة لا يمكن ان تقوم مسؤولية خلقية. وسيمون ده بوفوار هذه مندفعة في ايمانها بالمسؤولية الخلقية، فنراها تقول في بداية روايتها (دم الآخرين): «ان كلا مسؤول عن كل شيء امام الجميع » Chacun est responsable de tout devant tous وهذه الكلمات يصح اتخاذها شعارا لجميع مؤلفاتها.

على ان سيمون ده بوفوار لا تكتفي باعتبار الجبر زيفا، بل هي تستنكره كل الاستنكار لانه، في اعتقادها، يفضي الى موقف الاستسلام السلبي تجاه الشر. ومن المحقق ان كثيرا من الفلاسفة، وبالاخص الفلاسفة الانكليز، قد سلموا بواقع الحتمية دون ان يفضي بهم ذلك الى الاقلاع عن ادانة المسيئين. ولكن المؤمن بالحتمية ايمانا صارما، شأن موباسان، يجب ان يمتنع عن لوم من يقترف منكرا. وسيمون ده بوفوار لا يعجبها موباسان، وانما تفضل المركيز ساد. وقد عمدت فعلا الى كتابة سلسلة من المقالات بعنوان « هل يجب احراق ساد » Faut-il Bruler Sade ? ضمنتها مدحا لهذا الكاتب العاهر النشيط، لا لسبب غير اندفاعه في شوق وحماس الى ايجاد « تبرير » Justification

---

وان الرغبة في الوحدة، التي عرف الشاعر احيانا كيف يجنبنا التفكير فيها، تظل عماد هذه القصائد القليلة المفضية الى روح التشاؤم المرة..

وهذا الديوان ليس الجواب الاخلاقي لسؤالنا، بقدر ما هو السؤال الاكثر وحشة عن مصيرنا...

ولن يعجز الشاعر الذي استطاع بهذا القدر من المهارة ان يغوص في قلوبنا، عن اكتشاف الجواب الاخلاقي في اشعار مقبلة...

فما زال القيد الثقافي يؤطر عالمه، وفي اللحظة التي يصبح فيها بمنجى عن التأثر بما يتذوقه من ركائز الثقافة سيعرف كيف ينتشل صميميتنا من هذا البحران المتعس الذي يدوخنا.

ولا بد ان يكون جوابه في المرة القادمة اكثر اتصالا بوعيه الذاتي وبأخلاقية الشرقي الذي يمر الان في فترة شبابه..

ونحن... شبيبة هذا الجيل الممزق، لا نجد ممثلا اقرب الينا في بحثنا الابدي، من صلاح الذي هو منا، قبل ان يكون نفسه...

**

قصائد الديوان..؟!؟

لم امسسها بحرف، في حين تجرعتها حتى الثمالة..

فلا يجب ان ننسى ان الشاعر ليس ابدا، نزوة قصيدة واحدة... وبعد آلاف القصائد، يظل الشاعر بعيدا عن ان يكون قد قال ما يريد للقاريء، بعد اول قصيدة كتبها عن تمثيله هو.. بيد ان هذه النضارة هي دنيا الشاعر والجمهور معا...

القاهرة — **محي الدين محمد**